رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة
الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

آليات الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

إعداد

الدكتور خالد عامر الشويخ

عضو هيئة التدريس بجامعة الأنبار - العراق

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤ - ٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ
٢٨ - ٣٠ / سبتمبر / ٢٠١٤ م

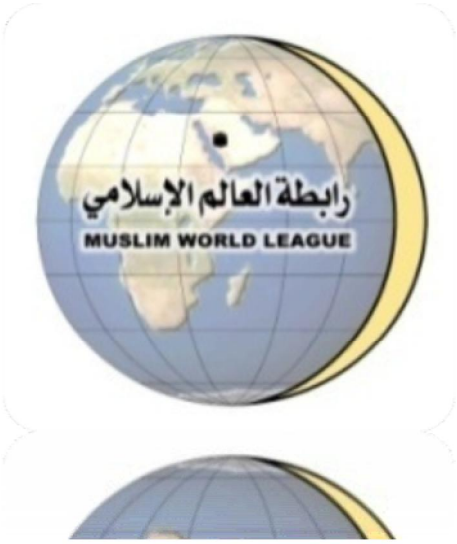

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩- الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن التطلع إلى الأهداف الكبرى، من شأنه أن يجعل ما تحتها في متناول اليد وفي حيّز الممكن، ومن الأهداف الكبرى في وقتنا المعاصر: الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية - بعد تقوية أساس محليتها وترميمه- وإعادة عصر الازدهار العالمي الذي حققته ثقافتنا الإسلامية في السابق، يوم كانت رائدة بين الثقافات العالمية، وأن نتحرر من الخوف والوهن والهزيمة النفسية التي لحقت بنفوس المسلمين؛ نتيجة الضعف والتكاسل والمؤامرات الخارجية، وألا نستكثر على ثقافتنا الإسلامية منزلتها الحقيقة ومكانتها العالمية التي وضعها فيها خالق الكون، فالرسالة الإسلامية عامّة إلى جميع الأمم، صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، فلا بد من تشخيص الخلل، وبحث الخطط والمناهج والآليات التي تمكّننا من تحقيق هدف الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية.

الهدف من البحث:

وضع آليات وخطط منهجية، توصلنا إلى هدف عالمية الثقافة الإسلامية.

منهجية البحث:

تتمثل في دراسة الواقع المعاصر بامتداده السابق، وفق منهجية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، ودراسة أبرز التحديات التي تواجه محليّة الثقافة

الإسلامية وعالميتها- دراسة موجزة من غير دخول في تفصيلاتها - للتركيز على بحث الآليات والخطط المنهجية الموصلة الى عالمية الثقافة الإسلامية.

خطة البحث:

قسَّمتُه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها وأدلة عالمية الإسلام.

وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الثقافة الإسلامية.

المطلب الثاني: أدلة عالمية الإسلام.

المطلب الثالث: نُبذة عن التحديات التي تواجهها عالمية الثقافة الإسلامية.

المبحث الثاني: آليات الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية.

ذكرتُ فيه آلياتٍ يمُكن اعتمادُها في طريق الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية.

الخاتمة: ذكرتُ فيها الخلاصة وأبرز النتائج التي توصلّتُ إليها، وأسأل الله أن يوفقني في هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم. إنه سميع مجيب.

المبحث الأول
مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها وأدلة عالمية الإسلام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الثقافة الإسلامية

لتحديد مفهوم الثقافة الإسلامية، نذكر تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً باختصار، ثم نتناول مفهوم (الثقافة الإسلامية) باعتباره مُركباً إضافياً.

أولاً: الثقافة في اللغة:

الثقافة: مصدر مشتق من الفعل ثَقُف بضم القاف وكسرها، وتستعمل في اللغة العربية لعدة معانٍ؛ منها ما هو معنوي مثل الحذق والفطنة والذكاء، وسرعة التعلم وضبط المعرفة المكتسبة وإدراك العلوم، ومنها ما هو حِسي مثل تقويم المُعْوَجِّ وتسويته، وإدراك الشيء والحصول عليه والظَّفر به، والمثاقفة والملاعبة بالسيف[(١)]، وقد عرَّفها المجمع اللغوي بأنها: (جملة العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق بها)[(٢)].

والثقافة في اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنكليزية والألمانية؛ يعبَّر عنها بلفظة (Culture) مأخوذة من الفعل (Colere)، وتدل في أصلها اللاتيني على فلاحة الأرض وتنمية محصولاتها، ثم أَخذت الكلمة تتوسع في تلك اللغات،

(١) يُنظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ١/ ٣٨٢، ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين: ١/ ٤٩٢، وتاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن حمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، مجموعة محققين: ٢٣/ ٦٠ مادة (ثقف).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية: ١/ ٩٨.

لتشمل تنمية الأرض بالمعنى المادي أو الحسي، وتنمية العقل والذوق والأدب بالمعنى المعنوي[١].

ثانيًا: الثقافة في الاصطلاح:

من الصعب أن نجد تعريفًا جامعًا مانعًا متفَقًا عليه لمصطلح (الثقافة) بمعناها العام؛ لاختلاف الفلسفات والعقائد والتصورات التي تنطلق منها هذه التعريفات، وهناك تعريفات عدة للثقافة الإسلامية[٢] نختار منها:

الثقافة: (مجموعة من الأفكار والمُثل والمعتقدات والعادات والتقاليد، والمهارات وطرق التفكير، ووسائل الاتصال والانتقال، وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد)[٣].

وهناك فرق بين العلم باعتباره معرفة تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج -كعلم الطبيعة والفيزياء ونحوهما- وبين الثقافة بشكلها العام، والفرق هو أن العلم عالمي لا تختص به أمة دون أخرى، أما الثقافة فقد تكون خاصة تنُسب للأمة التي أنتجتها أو قامت في أفرادها، وإحدى ميزاتها، ولهذا يؤخذ العلم أخذاً عالميًا، أما الثقافة فإن الأمة تبدأ بثقافتها حتى إذا درستها ووعتها وتمركزت في الأذهان، انتقلت إلى الثقافات الأخرى[٤].

---

(١) ينظر: في معركة الحضارة، قسطنطين زريق: ٣٤ – ٣٥، وينظر: منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، د. نصر الدين مصباح القاضي، ص ٩٠ – ٩١.

(٢) للرجوع إلى تعريفات أخرى لمصطلح (الثقافة) يُنظر: لمحات في الثقافة الإسلامية: ١٣، والثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، د. محمد أبو يحيى وآخرون: ١٣ وما بعدها، ومنهج الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة: ٨٩ وما بعدها.

(٣) ينظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، د.رجب سعيد شهوان وآخرون، ص: ٨.

(٤) ينظر: الثقافة والثقافة الإسلامية، سميح عاطف الزين: ٣٢.

ثالثًا: تعريف (الثقافة الإسلامية):

لها تعريفات عدة [١] نختار منها:

هي (معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر من دينٍ ولغة وتاريخ وحضارة وقيم وأهداف مشتركة)[٢].

وعرَّفها آخرون باعتبارها عِلْما معينًا بأنها: (علم دراسة التصورات الكلية، والمستجِدات والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بمنهجية شمولية مترابطة)[٣].

(١) للرجوع إلى مزيد من التعريفات لمصطلح (الثقافة الإسلامية)، ينظر: منهج الإسلام في مواجهة التحديات: ٩٠، وينظر: الإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف الزين: ٣٨، وأضواء حول الثقافة الإسلامية، د. أحمد عبد الرحيم السايح، ص: ٥٥.

(٢) ينظر: دراسات في الثقافة الإسلامية: ١١.

(٣) ينظر: الثقافة الإسلامية، ثقافة المسلم وتحديات العصر: ٢١.

المطلب الثاني: أدلة عالمية الإسلام

الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ لا يتقاطع مع أصول الرسالات التي سبقته، وهو خاتم الرسالات، ويمتاز بأنه رسالة عالمية إلى جميع الأمم، لا تختص بأمة معينة، صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

لذا فثقافة المجتمع الإسلامي تقوم على أساس أنه مجتمع عالمي غير عنصري ولا قومي، تذاب في جغرافيته الحدود والحواجز، يفتح ذراعيه لجميع بني الإنسان دون النظر إلى لون أو جنس أو لغة، وهناك ميزان واحد لتقدير الأفضلية، وهو تقوى الله وطاعته والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

وأدلة عالمية الإسلام في القرآن الكريم كثيرة، نذكر منها:

١- قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

٣- قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٤- قوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٦-٢٩].

٥- قوله تعالى عن القرآن الذي أوحي به إلى نبيه ﷺ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، أي فالإنذار يكون إلى كل من يصل إليه هذا القرآن ويسمعه من جميع الأقطار وعلى مر العصور.

ومن أدلة عالمية الإسلام في السنة النبوية:

ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»[(١)]، ولتحقيق ما كُلِّف به النبي محمد ﷺ من عالمية الإسلام، قام ﷺ بإرسال الرسل إلى الملوك، كما روى قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ)[(٢)]، وهذه الأدلة وغيرها تدل على أن الإسلام رسالة عالمية لا تقتصر على أمة معينة، أو زمنٍ ما دون غيره.

ولأن رسالة الإسلام عالمية وإنسانية، فإن مقتضى ذلك يستلزم أن تكون ثقافته ثقافةً عالمية أيضًا، وأن تكون شريعته وثقافته صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، باعتبارها الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات السابقة.

---

(١) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل، أبي عبد الله البخاريِّ (ت٢٥٦هـ)، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، برقم (٢٥٥٠)، كتاب التيمم: ١/ ١٢٨، وصحيح مسلم: الجامع الصحيح، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، برقم (١١٩١) كتاب المساجد: ٢/ ٦٢، واللفظ لمسلم.

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٧٠٩)، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إِلَى الله: ٥/ ١٦٦.

المطلب الثالث: نُبذة عن التحديات التي تواجهها عالمية الثقافة الإسلامية

تواجه عالمية الثقافة تحديات ومعوقات قديمة ومعاصرة تَعوق طريق الانتشار المحلي والعالمي للثقافة الإسلامية، منها ما يعود إلى أسباب داخلية، ومنها يعود إلى أسباب خارجية، نوجز بعضها: -

أولاً: التحديات الداخلية

توجد أسباب كثيرة داخل الوسط الإسلامي تمثل تحدّيًا للثقافة الإسلامية وعالميتها، نذكر منها:

أ- الخلافات الداخلية بين المسلمين:

الدين الإسلامي يشتمل على أصول وفروع، والخلاف المذموم في الإسلام هو ما كان خلافًا في الأصول، أو كان في الفروع وجر إلى منازعة أو خصومة بين المسلمين[(١)]، والخلاف المذموم له تداعيات خطيرة على عالمية الثقافة الإسلامية، بغض النظر عن وجود الحق مع أي جانب، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وفي الساحة الإسلامية المعاصرة، فِرق واتجاهات فكرية وعقائدية وسياسية متعددة، وتيارات مختلفة متنازعة فيما بينها، منها جذوره تاريخية قديمة، ومنها في العصر الحديث، وتداعيات هذه الاختلافات المذمومة والصراعات على عالمية الثقافة الإسلامية؛ تتمثل في أنها تَشغل الدعاة عن واجب نشر الدعوة

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد حامد الفقي: ٣٩-٤٠.

الإسلامية، وتصرف الأنظار عن الدخول في الإسلام والانبهار به، وتُضعف الحصانة الفكرية التي تقاوم الغزو الخارجي، وتشتت الخطاب الإسلامي وتصرفه عن واجبه في الدعوة العالمية، وتساعد على رفض الجماهير للتيار الإسلامي نتيجة الصورة المشوهة التي تتركها هذه الصراعات، كما أنها تساعد على هيمنة الأحزاب اللادينية على القاعدة الجماهيرية [١].

ب- **الغلو والتطرف**: والغلو: (المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد)[٢].

والتطرف والغلو من التحديات التي تواجه عالمية الثقافة الإسلامية، وهو من التحديات القديمة والمعاصرة، وقد حذرت النصوص الشرعية منه منذ بداية الدعوة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك مَن قبلكم الغلوُّ في الدين**»[٣].

---

(١) تناولتُ موضوعَ الخلافات الداخلية وتداعياتها في بحثٍ خاصٍ بعنوان: (الخلافات الفكرية بين المسلمين وتداعياتها على الخطاب الإسلامي المعاصر وعلاجها)، منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية (٢٠١٤م).

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني: ١٣/ ٢٧٨، وبمثل هذا عرَّفه الإمام أبي إسحاق الشاطبي في الاعتصام: ١/ ٣٠٤.

(٣) رواه أحمد بن حنبل في مسنده، برقم (٣٢٤٨): ١/ ٣٧٤، وابن ماجه في سننه، برقم (٣٠٢٩): ٢/ ١٠٠٨، والحاكم في مستدركه كتاب الصوم، برقم (١٧١١)، وقال: (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ): ١/ ٦٣٧، ونقل المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير؛ عن ابن تيمية قوله: (هذا إسناد صحيح على شرط مسلم): ٣/ ١٦٢.

وقال ﷺ: «**هلك المتنطعون**» ثلاثاً[١]،وهم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[٢].

والغلو والتطرف - اعتقادي أو عملي- من التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية وثقافتها العالمية؛ إذْ يعطي صورة مشوهة عن الإسلام، ويترك انطباعاً سيئاً لدى الآخرين، ويؤدي إلى استنزاف الطاقات في غير محلها، لأنه استنزاف قوة فكرية أو بدنية زائدة عن حدها دون نفعٍ دنيوي أو أخروي، كما ينتج عنه خلافات فكرية وعقائدية تُشْغل الدعاة عن عالمية الرسالة، وينتج عنه أيضاً مبالغة في عرض العقائد المنحرفة والأفكار الباطلة والضلالات من أجل لفْت الانتباه وإثبات الوجود، وهذا ما يعكس صورة سلبية عن الإسلام ومبادئه.

ج- **التعصب للباطل والهوى**: **التعصب** (هو التشدد وأخْذ الأمر بشدة وعنف، وعدم قبول المخالف ورفضه، والأَنفة من أن يتبع غيرَه ولو كان على صواب)[٣]، أو هو: (جمود الفكر، وانحصار الأفق، والتشبث بالهوى، والجنوح إلى الباطل مهما بدا عَوارُه)[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، برقم (٦٩٥٥) من حديث عبد الله بن مسعود، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون: ٨/ ٥٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح مسلم بن الحجاج) لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي: ١٦/ ٢٢٠.

(٣) التعصب: مظاهره، أسبابه، نتائجه، البعد الشرعي: د. عادل الدمخي، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني بعنوان: (نحن والآخر) المنعقد بدولة الكويت عام (١٤٢٧هـ).

(٤) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي: ١٨٣.

ومن أنواعه: التعصب المذهبي، والتعصب الفكري والحزبي والقومي والطائفي، والتمييز العنصري.

ومن نتائجه وتداعياته السلبية على الثقافة الإسلامية: أنه سبب أساس للفُرقة بين أفراد الأمة الإسلامية، والفتيل الذي يشعل نار الفتنة والاقتتال الداخلي، وهو سبب أساس لرفض الوسطية الإسلامية من قِبل الآخرين، ويزيد من الكرْه العالمي للمسلمين، ويُضْعف التأثير الإسلامي الثقافي في الثقافات الأخرى[١].

د- فقدان التوازن الاجتماعي، وضياع الهوية، وعدم الانتماء.

هـ- اليأس الذي يسيطر على أبناء الحضارة الإسلامية، والهزيمة النفسية التي لحقتهم في العصر الحديث.

و- الجهل والتخلف والانحطاط العلمي والفكري[٢].

ثانيًا: التحديات الخارجية:

هناك تحديات نابعة من خارج الوسط الإسلامي، تمثل تحديًا للثقافة الإسلامية على المستوى المحلي والعالمي، وترجع بدايات هذا النوع من التحديات إلى بداية الدعوة الإسلامية حتى وقتنا المعاصر.

---

(١) ينظر: بحث (التعصب، مظاهره، أسبابه، نتائجه، البعد الشرعي) مصدر سابق.

(٢) للتفصيل يرجع إلى: الثقافة الإسلامية، ثقافة المسلم وتحديات العصر (٩٩-١٠٠)، ومنهج الإسلام في مواجهة التحديات: (١١٢-١١٣)، والدعوة الإسلامية في القرن الحالي: ٧٩ وما بعدها.

فقد واجه النبي ﷺ معارضة وتحدياً من غير المسلمين لإجهاض دعوته، عن طريق التشكيك بنبوته ﷺ واتهامه بالسحر والجنون، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦].

وعن طريق التشويش برفع الأصوات بالصياح والصفير أثناء قراءة القران وتلاوته، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦].

واستمر هذا التحدي والتشكيك بالرسالة الإسلامية وعالميتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان حتى يومنا هذا، وقد أشار القرآن الكريم إلى التحديات الخارجية للرسالات السماوية بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فمن التحديات الخارجية: الغزو الفكري للثقافة الإسلامية، وهو عنوان أطلق في القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، على المخططات والأعمال الفكرية والتثقيفية والتدريبية والتربوية والتوجيهية، ووسائل التأثير النفسي والخُلقي والتوجيه السلوكي الاجتماعي والفردي،التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام[1]، وهذا المصطلح وإن كان حديثاً بهذا المسمى، إلا أنه قديم من حيث المعنى، ومن مظاهره: تشويه عقائد المسلمين، ومحاربة اللغة العربية، وإحياء القوميات القديمة التي تخالف الإسلام، واستخدام الأُجَراء والمندسين، واستغلال المغفلين، والاستدراج البطيء إلى ممارسة السلوكيات المنحرفة، واستغلال

(١) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير، الاستشراق، الاستعمار، عبد الرحمن حسن حبَنَّكة الميداني: ٢٥.

ردود الأفعال بعد أحداث طارئة أو مفتعلة، وإثارة الخلافات العقائدية بين المسلمين، وتصوير الإسلام على أنه دين العنف وغير ذلك[١].

ويقوم الغزو الفكري على مؤسسات ومنظمات وحركات رسمية وغير رسمية، يعتمدها في بث نشاطاته في الساحة الإسلامية، من التأثير الثقافي والاستعمار الفكري والعسكري.

ومن هذه المؤسسات: دوائر التنصير (التبشير)، والاستشراق، ودوائر الاستعمار العسكري والفكري، والتغريب، وغيرها من المنظمات[٢].

كل هذه التحديات لها تداعيات سلبية على الثقافة الإسلامية محلّيا وعالمياً؛ أنها أضعفت الحصانة العقائدية والفكرية لبعض المسلمين، وجعلت المجتمع الإسلامي يترك الباب مفتوحاً ليستقبل ما تمليه الثقافات الأخرى، لاسيما في ظل التقدم العلمي المعاصر، الذي يسّر آليات التواصل والاتصال بين الشعوب العالمية والثقافات المتنوعة.

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٤٧-٥٢)، ومواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية، د. أحمد عبد الحميد السايح (٣٢-٣٥).

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى المصدرين السابقين، وينظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. عبد الستار فتح الله سعيد، والغزو الفكري: أهدافه ووسائله، د. عبد الصبور مرزوق، إصدار رابطة العالم الإسلامي.

المبحث الثاني
آليات الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية

من أجل الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية في عصرنا، وإعادة النجاح والازدهار العالمي الذي حققته ثقافتنا الإسلامية يوم أن كانت الرائدةَ بين الثقافات والمؤثرة فيها، علينا أن نسير وفق آليات منهجية وخطوات مدروسة توصلنا بتوفيق الله إلى عالمية الثقافة الإسلامية، وهذه الآليات من أساسات الدراسة في هذا البحث، فمنها ما يتعلق تطبيقها بحكام المسلمين وولاة أمورهم والمؤسسات الإسلامية والمنظمات والهيئات، ومنها ما يتعلق بطريقة عرض الإسلام وثقافته والدعوة إليه، ومنها ما يتعلق بالسلوك الفردي أو الجماعي للمسلمين، وغير ذلك.

وينبغي التأكيد قبل تفصيل تلك الآليات، على ضرورة معرفة التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية ودراستها حجماً وتأثيراً، دراسة منهجية مستفيضة، والعمل على مواجهتها،وتجاوزها وإزاحتها عن طريق عالمية الثقافة الإسلامية، ويجب استحضار النجاح العالمي الذي حققته الثقافة الإسلامية من تأثير عالمي وانتشار وازدهار في القرون السابقة، والسعي إلى إعادة ذلك النجاح العالمي، وسنذكر أهم الآليات والخطوات المنهجية التي يمكن اعتمادها للوصول إلى عالمية الإسلام وثقافته، وهي:

أولاً: دراسة المجتمعات العالمية والاطلاع على ثقافاتهم، ومعتقداتهم، وآدابهم، وتاريخهم، وكل ما يتعلق بهم.

تقوم الثقافة الإسلامية على أساس نشر الإسلام وتعميق جذوره ومعارفه في البلاد والمجتمعات التي تصل إليها رسالة الإسلام، ومن أجل النجاح في

الوصول إلى التأثير الثقافي الإسلامي في مجتمع معين يجب على المثقفين المسلمين والعلماء والدعاة معرفة ذلك المجتمع، عن طريق دراسة معتقداتهم وتاريخهم وثقافاتهم ونقاط قوتهم وضعفهم وطبائعهم وكل ما يتعلق بهم، دراسةً منهجية مستفيضة، وفق جهد جماعي وفردي، كلٌّ حسب اختصاصه من علماء العقائد والاجتماع والتاريخ واللغات والسياسة وغير ذلك، في الجامعات الإسلامية أو المراكز البحثية أو المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية، أو بالجهود الفردية من الباحثين، ثم تقدم هذه الدراسات بصيغة متكاملة موحدة إلى الدعاة والمحاضرين والمثقفين، ليقوموا بواجب نشر الثقافة الإسلامية من أجل تأثير ثقافي نافع مثمر، حيث إن ثقافات الشعوب تختلف بعضها عن بعض، فثقافة الغرب تختلف عن ثقافة الشرق، وثقافة أهل الإلحاد تختلف عن ثقافة أهل الكتاب، والعرب تختلف ثقافتهم عن ثقافة العَجم، وثقافة البدو تختلف عن ثقافة الحضر وهكذا، ولا يمكن التعامل مع الجميع بالأسلوب نفسه، كما أن الثقافات تختلف باختلاف العصور، فثقافة المجتمعات في القرن الحادي والعشرين تختلف عن ثقافات القرون السابقة وهكذا، لذا من الحكمة أن نكلّم الناس بلسان حالهم ليفهموا عنا ويتجاوبوا معنا، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٤].

(وليس معنى الآية مجرد أن يكلَّم الصينيون باللغة الصينية والروس باللغة الروسية فقط، بل معناها الأعمق: أن يكلم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، ويكلم الناس من الشرق بلسان أهل الشرق، وفي الغرب بلسان أهل الغرب، ويكلم الناس في القرن الحادي والعشرين بلسانهم لا بلسان قرونٍ مضت)[1].

---

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي: ٣١.

كما ينبغي أن تكون الدراسة لتلك المجتمعات دراسة ميدانية متعمقة، وأن لا تعتمد فقط على مصادر أصحاب تلك الثقافات وواجهاتهم الإعلامية؛ لأن الصورة الحقيقية قد تختلف كثيرًا عن واقعهم الحقيقي، فواقعنا المعاصر وفق التقنيات العالمية الحديثة كان له دور في تلميع بعض الثقافات وتزيينها على حساب تشويه ثقافات أخرى، عن طريق التركيز الإعلامي على الإيجابيات في بعض المجتمعات، في مقابل التركيز على سلبيات مجتمع آخر وإغفال إيجابياته، كما هو حاصلٌ تجاه التشويه المتعمد وغير المتعمد للثقافة الإسلامية.

ثانيًا: دعم مؤسسات الترجمة، ودراسة اللغات، وعرض الإسلام باللغات العالمية:

من أقوى وسائل التأثير الثقافي: لغة التخاطب بين الناس، ومن الحكمة أن نكلّم الناس بلغةٍ يفهمونها، وإلا كان الكلام مجرد حركات جسدية بلا نفْع.

وإذا أردنا أن نصل إلى عالمية الثقافة الإسلامية على اعتبار أن النبي محمداً ﷺ أُرسل للعالم كله وليس للعرب خاصة، فالعرب الذين تحدث النبي محمد ﷺ بلغتهم وكلّفهم بنقل رسالته إلى غيرهم -وكذلك جميع المسلمين الذين يتحدثون العربية - يجب عليهم أن يوصلوا هذا القول إلى كل الناس، وبكل لغةٍ يتم التفاهم بها، أي أنهم يجب أن يتقنوا كل اللغات العالمية، وما استطاعوا من اللغات المحلية، وأن يُودِعوا كلَّ لغة خلاصةً كافيةً هاديةً عن تعاليم الإسلام، في مجال العقيدة والخُلق وشتى أنواع العبادات)[1].

(١) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي: ١٤٥.

وتطبيق هذا الجانب يكون عن طريق الخطوات التالية:

أ- إعداد جيل من الدعاة الإسلاميين، وتنشئتهم من مراحل عمرية مبكرة، وتعليمهم اللغات العالمية والعلوم الإسلامية، وإرسالهم إلى دول العالم، كلٌ حسب البلد الذي تعلّم لغته، وتكليفهم بطرح الثقافة الإسلامية باللغات العالمية، عن طريق وسائل الإعلام والتواصل والاتصالات الحديثة، واعتمادهم في صد المؤامرات التي تشوه صورة الإسلام.

ب- استحداث كلية للغات والدراسات الإسلامية في جامعات البلاد الإسلامية، تتخصص بدراسة العلوم الإسلامية بلغات عالمية وليس بالعربية، وتشجيع ودعم وإنشاء مدارس وكليات إسلامية باللغة العربية في بلاد العالم، واستقطاب دارسين من الجاليات الإسلامية وغيرهم في تلك البلاد لتعلم اللغة العربية والقيام بمهام نقل الثقافة الإسلامية بلغتهم الأم إلى مجتمعاتهم.

ج- إنشاء مراكز للترجمة في دور الطباعة والنشر، تقوم بترجمة الإصدارات الإسلامية المهمة والنافعة إلى لغات عالمية بموافقة مؤلفيها، وتسويقها ونشرها في المجتمعات العالمية، وتقوم هذه المراكز بمهمة استنساخ الإصدارات الثقافية الإسلامية التي تَصدر عنها بلغات عالمية مختلفة.

د- إنشاء محطات إسلامية عالمية ناطقة بلغات مختلفة، بالاعتماد على الدعاة والمثقفين الذين تم تأهيلُهم ممن يجيدوا اللغات الأخرى، أو الاستعانة بمترجمين موثوق بهم لعرض الثقافة الإسلامية عرضاً عالمياً، عن طريق استنساخ ما يُعرض في القنوات الإسلامية الموثوق بها الناطقة باللغة العربية، وترجمته إلى لغات عالمية شرقية وغربية، علماً بأن هذه القنوات موجودة حالياً لكن ليس بالعدد الكافي الذي يغطي اللغات العالمية.

٥- العمل على توفير ترجمة فورية للخطب والمحاضرات التي تُلْقى في المواسم الإسلامية، كخطب الحرمين المكي والمدني ومواسم الحج وغير ذلك، وترجمتها ترجمة فورية بلغات عالمية، وبثّها على القنوات الفضائية.

كل ذلك وغيره يقربنا إلى هدف الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية وانتشارها شرقًا وغربًا.

ثالثًا: استثمار الوسائل المعاصرة في نشر الثقافة الإسلامية:

من سمات المعاصرة تطور الصناعات، وظهور الوسائل الخدمية والإعلامية ووسائل الاتصالات والمواصلات الحديثة، والعالم الإسلامي جزء من هذا العالم الذي أصبح كقرية واحدة، حتى صار التأثير الثقافي بين الشعوب مَعْلمًا من معالم هذا العصر، فوسائل الدعوة وأساليبها في تجدد مستمر وتطور متلاحق، والمسلم مطالب بالاستفادة من هذه الوسائل في مجال نشر الثقافة الإسلامية محليًا وعالميًا.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي وقتنا الحاضر قد يسَّر اللهُ عز وجل أمر الدعوة أكثرَ بطرقٍ لم تحصل لمن قبلنا، فأمور الدعوة اليوم متيسرة أكثرَ؛ من طرق كثيرة، وإقامة الحجة على الناس اليوم ممكنة بطرق متنوعة عن طريق الإذاعة وعن طريق التلفزة وعن طريق الصحافة... من طرق شتى)[1].

(١) ينظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، العدد (٤٤) لسنة (١٣٩٨هـ): ١٥.

وتَبرز أهمية استثمار الوسائل المعاصرة على وجهها الصحيح؛ في قدرتها على صد الغزو الفكري والثقافي للعجلة الإعلامية العالمية التي يستخدمها أصحاب الثقافات الأخرى ومزاحمتهم فيها.

وكذلك تبرز أهميتها في تيسير وتسهيل مهمة نشر الإسلام وثقافته في مشارق الأرض ومغاربها دون عناء السفر والترحال، وإنفاق الأموال كما كان في السابق، وهذا يجعلنا نُقرّ للجيل الأول بأنهم تحمّلوا مشاقّ الدعوة الإسلامية ونشر ثقافتها شرقًا وغربًا، مع نُدرة الوسائل وصعوبة المهمة مقارنةً بالوسائل المعاصرة.

وهنالك وسائل كثيرة ومتنوعة في هذا المجال[1]، نشير إلى بعضها فيما يلي:

أ- الوسائل السمعية: كالإذاعات، وأشرطة الكاسيت، والأقراص المدمجة.

ب- الوسائل [المرئية السمعية]: كالتلفاز، وأشرطة الفيديو، والأقراص، والقنوات الفضائية المحلية والعالمية.

ج- الوسائل الكتابية والمقروءة: كالكتب، والكتيبات، والمطويات، والصحف، والمجلات والنشرات الجدارية.

د- وسائل الاتصال المعاصر: كالحواسيب الحديثة وخدماتها: الإنترنت والموسوعات الدينية والمكتبات الإسلامية وموسوعات القرآن وتفسيره، والحديث وعلومه وغيرها، وكلها موجودة يستخدمها الدعاة

(١) قمتُ بتفصيل تلك الوسائل ومشروعيتها وحقيقتها وأنواعها، في أطروحتي للدكتوراه: (التقدم العلمي المعاصر وأثره في خدمة الفكر الإسلامي)، المقدَّمة إلى كلية الإمام الأعظم/ بغداد: (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م): ٢٠٦ وما بعدها.

المسلمون والمثقفون، ولكن نحتاج إلى مضاعفة الجهود في توظيفها وتوجيهها نحو عالمية الثقافة الإسلامية، وأبرز معالم هذا التوجيه: العمل على دعم الإعلام الإسلامي، وهو ما سنتكلم عنه في النقطة التالية.

رابعًا: دعم الإعلام الإسلامي محليًا وعالميًا

من المقومات الأساس لشيوع أي ثقافة وانتشارها: إعلام الناس بتفاصيل هذه الثقافة ومعالمها ومبادئها، وإلا كانت ثقافةً منغلقة على نفسها لا تتعدى حدودَها، والمنهج الإسلامي يعتمد الجانبَ الإعلامي في نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها بجميع الوسائل المباحة والمتاحة، كالكلمة والكتابة ورفع الصوت وإيصاله للناس وغير ذلك، وقد استخدم النبي ﷺ الإعلام عندما استعان بصوت ربيعة بن أمية بن خلَف لإسماع الناس، كما جاء في السنة[(١)].

واستثمار جانب الإعلام الإسلامي ودعمه يكون وفق خطوات وآليات، منها:

أ- دعم القنوات الفضائية والإذاعات الإسلامية وتطويرها، وفق المعايير العالمية في الإنتاج والإخراج والتصوير والعرض، وزيادة عددها، مع عرض المحتوى بلغات متعددة.

ب- التسلل إلى القنوات العالمية المحببة لدى الجماهير والشباب في الوسط العالمي، عن طريق بث الأخبار المتعلقة بالدول الإسلامية وبثقافتها

---

(١) كحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وفيه: (فلما وقف رسول الله ﷺ بعرفة؛ أمر ربيعةَ بنَ أميةَ بنِ خلَف فقام تحت يدي ناقته، فقال له النبي ﷺ: اصرخ، أيها الناس؛ هل تدرون أي شهر هذا؟ قالوا: الشهر الحرام... الحديث)، وهو طرف من حديث رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، برقم (١٧٤٢)،كتاب المناسك، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه): ١/ ٦٤٧.

وبمناسباتها الدينية، وعرضها عرضـًا معاصراً مشوقًا، عن طريق شراء مساحات زمنية وإعلانية، فكثير من تلك القنوات تجارية تسمح بذلك، غايتها الأساس: التربّح المادي.

ج- استثمار الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في عرض الثقافة الإسلامية وخدمتها، والدعوة إلى الإسلام، ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية وتعاليمهما، وإنشاء المواقع الإلكترونية الإسلامية والمنتديات.

والمسلمون مطالبون بكل ذلك؛ لأن (عالمية الإسلام تفرض على أتباعه -وعلى الإعلام الإسلامي - أن يقدموا من سلوكهم الخاص والعام، نماذج جديرة بالإكبار، والسؤال عن حقيقة الإسلام لمن لم يعرفوا هذه الحقيقة، وما أكثرهم في ارض الله)[1].

خامسـًا: استثمار الجوانب الاقتصادية، واعتمادها في مجال نشر الثقافة الإسلامية

يُعد الجانب الاقتصادي - وبالأخص في عصر العولمة - من أقوى المؤثرات التي تهيمن على الجانب الفكري والثقافي للمجتمعات العالمية.

وفي وقتنا المعاصر كثير من الدول الإسلامية تمتلك اقتصاداً كبيراً، ويمكن استثمار هذا الجانب في نشر الثقافة الإسلامية، عن طريق التحرر من الهيمنة العالمية التي تسيطر على الاقتصاد الإسلامي، والسعي إلى السيادة الاقتصادية التي تشكل ركيزة أساسـًا في عالمية الثقافة الإسلامية، وفق خطوات منهجية، منها:

أ- التكامل الاقتصادي والتكافل الاجتماعي: وذلك بالتبادل التجاري والاقتصادي، وتبادل القدرات البشرية والخبرات بين الدول الإسلامية، والدعم المادي للدول الإسلامية الفقيرة ورفع مستوى المعيشة فيها،

---

(١) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي: ١٤٧.

وبناء منظومة اقتصادية إسلامية قوية قادرة على مواجهة قوى الاقتصاد العالمي للتحرر من هيمنتها الفكرية والثقافية.

والتكافل الاجتماعي والاقتصادي من الثوابت المقررة في الثقافة الإسلامية، في الصدقة ووجوب الزكاة، وما يقع من مسؤوليةٍ على الدولة بتلبية متطلبات المسلمين، وذم الشح والبخل وتقرير مبدأ الإيثار كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ب- تقديم الدعم الإنساني والإغاثي للدول والمجتمعات العالمية عند وقوع الكوارث الطبيعية أو نتيجة الفقر، تحت مسمى إسلامي صريح وواضح، وهذا ما يفعله الغرب في تلك الحالات تحت مظلة منظمة (الصليب الأحمر)، وعدم الاقتصار على الإيحاء فقط أو الاكتفاء بأسماء خجولة مثل منظمة (الهلال الأحمر) ونحوه، لذا اقترح أن يكون اسم تلك المنظمات الإغاثية مثلاً: (منظمة الدعم الإسلامي العالمي)، كي نستثمر هذا الجانب في قبول الثقافة الإسلامية في الوسط العالمي وانتشارها.

ج- الولوج إلى الأسواق العالمية المعاصرة في الدول الأخرى، وعرض الفعاليات الاقتصادية تحت مسميات وعناوين إسلامية واضحة، وثمرة ذلك: الدعاية الإسلامية في المجتمعات العالمية والتعريف بالإسلام، وإثارة فضول الآخرين للتعرّف عليه، ويكون ذلك عن طريق إنشاء البنوك الإسلامية في تلك الدول وتسميتها بأسماء وعناوين إسلامية بارزة، وكذلك المراكز التجارية والأملاك الخاصة والعامة والعمارات والمعالم الخدمية المهمة في دول العالم، والتي تعود ملكيتها إلى إفراد المسلمين أو مؤسسات بلادهم.

د- دعم الجانب الاقتصادي للجاليات الإسلامية في الدول العالمية - وبخاصة الجاليات الناشئة- من أجل تثبيت الإسلام في قلوبهم، ومساعدتهم على التأثير في غيرهم؛ لأنهم أقرب ما يكون إلى خط الدعوة العالمي.

علماً بأن هذا المبدأ مقرر في المنهج الإسلامي، إذ خَصص للمؤلفة قلوبهم نصيباً من الدعم الاقتصادي، فهم أحد أصناف الزكاة الثمانية كما قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

كل هذا وغيره من الجوانب الاقتصادية؛ له دور كبير في التحرر الفكري والثقافي من الهيمنة العالمية، ومن ثم التأثير الإسلامي في الثقافات الأخرى.

سادساً: استثمار طلبة البعثات والزمالات الدراسية.

ظهرت في وقتنا المعاصر بشكل متزايد؛ البعثات الدراسية بين البلدان، فكثير من الدارسين ذهبوا إلى خارج بلادهم لإكمال دراستهم الجامعية وغيرها، في جميع التخصصات العلمية والإنسانية، وهؤلاء الطلبة يُشكّلون حلقةَ وصلٍ للتبادل الثقافي والفكري بين الشعوب، وعليه لا بد من التركيز على هؤلاء وتوجيههم ودعمهم واستثمارهم في مجال عالمية الثقافة الإسلامية، وذلك عن طريق النقاط التالية:

أ- تأهيل الطلبة المبتعثين تأهيلاً ثقافياً وتوعوياً، يُحَصِّنهم الحصانة الفكرية التي لا تسمح بتسرب الأفكار الدخيلة على الوسط الإسلامي، ويوكل هذا الدور إلى المؤسسات الإسلامية.

ب- ترشيح واختيار نماذج من الطلبة ذوي طابع مؤثر في الآخرين، وإبعاد ذوي الطابع التأثري من الآخرين.

ج- إدراج مادة الثقافة الإسلامية في امتحان طلبة البعثات والزمالات الدراسية من جميع التخصصات، أو عند معادلة شهاداتهم بعد رجوعهم؛ ليتبين مدى حصانتهم الثقافية تجاه الغزو الثقافي الآخر، ومدى تأثيرهم الثقافي في الآخرين، ليكونوا مصدر قوة ودعم للثقافة الإسلامية لا مصدر ضعف.

د- استقطاب زمالات دراسية وطلاب من الدول العالمية إلى الجامعات الإسلامية ودعمهم ماديًا ومعنويًا، واستثمار ذلك وتوظيفه في مجال عالمية الثقافة الإسلامية؛ لأنهم سيكونون دعاةً بلسان أقوامهم عند عودتهم، أو على الأقل سيكونون حلقةَ وصْلٍ لإيصال الثقافة الإسلامية إلى بلدانهم بمرور الوقت.

سابعًا: الأصالة مع المعاصرة في عرض الثقافة الإسلامية.

للوصول إلى انتشار عالمي للثقافة الإسلامية؛ على المسلمين أن يعتمدوا المعاصرة في طرح الخطاب الإسلامي إلى جانب تمسكهم بأصالة المنهج الإسلامي، وإلا تعرضت تلك الثقافة إلى الضمور والانحسار، فلا بد من أن يتكلّموا وينشروا ثقافتهم بلغة العصر، وأن يتتبعوا المشكلات التي تطرحها المرحلة الزمنية المعاصرة ويوجدوا الحلول المناسبة لها، ويَدرُسوا المستجدات الفقهية والنوازل ونحوها، وهذا الأمر ثابت في ثقافتنا الإسلامية؛ فقد: (قرر المحققون من فقهائنا أن الفتوى تتغير بموجباتٍ شتى منها تغير الزمان والمكان وتغير العرف والحال وغيرها)[1]، فالثقافة الإسلامية تقوم على الأصالة والتجديد.

---

(١) ينظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٢٨.

ومن سمات الأصالة والمعاصرة في طرح الثقافة الإسلامية:

١- العقلية الموضوعية المنهجية والحقائق اليقينية: وهي متمثلة في ردِّ كل شيء إلى منهج موضوعي في البحث، وعدم قبول دعوى بلا برهان، ورفض التسليم للأباطيل والخرافات، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

٢- التجديد وعدم التنكّر للقديم: فالثقافة الإسلامية لا تسمح بتجميد العلم وسدِّ باب الاجتهاد، ففيها الثوابت والمتغيرات، وقد بيّن ﷺ ذلك بقوله: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»(١).

والتجديد لا يعني التنكر للقديم والانفصال عن التراث الإسلامي، فليس كل قديم سيئًا، كما ليس كل جديد حسنًا، كذلك لا يعني التجديدُ فتْحَ الذراعين لكل جديدٍ دون عرضه على ميزان الإسلام، ومن معالم التجديد: المرونة والتطور وثبات الأهداف مع تطور وسائل الوصول إليها(٢).

---

(١) رواه أبو داود في سننه، برقم (٤٢٩١)، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، وصححه الألباني: ٤/ ١٠٩.

(٢) ينظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: ١٢٩ – ١٣٢.

ومن أبرز آليات تطبيق الفقرات السابقة:

أ- عرض الثقافة الإسلامية بأحدث الوسائل؛ بلسان العصر وبلغة متميزة مشوقة.

ب- أن يكون المتصدي لهذا العمل متمكّنًا عارفًا بالثقافة الإسلامية عامة، وثقافة عصره خاصة.

ج- الاستفادة من العلماء المسلمين المخلصين الذين تفوقوا على الفكر الغربي، ويستطيعون نقده دون الانصهار الانهزامي في الثقافات الأخرى، والاستفادة من الذين يجمعون بين الثقافتين -الإسلامية وغيرها- وكذلك الذين يجمعون بين العلوم الإسلامية والعلوم التجريبية الطبيعية، فكتابات ودراسات الذين درسوا الحضارة الغربية أو الشرقية من علماء المسلمين المخلصين، تُعد من أنفع الدراسات للثقافة الإسلامية[1].

ثامنًا: التدرّج في خطوات نشر الإسلام وثقافته.

من الآليات التي تُوصلنا إلى عالمية الثقافة الإسلامية: التعامل مع المجتمعات العالمية خارج الدول الإسلامية تعاملاً خاصًا، ليس بالضرورة أن يكون مشابهًا للتعامل مع المجتمعات داخل الوسط الإسلامي.

ومن ذلك: التدرّج في طرح الإسلام ومبادئه وتعاليمه، ومراعاة الأولويات، ومعرفة نقاط البدء لعرض الإسلام في المجتمعات الأخرى، وهذا الأمر من المناهج المقررة في الدعوة الإسلامية.

---

(١) ينظر: الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر: ٣٧ – ٣٨.

فالنبي ﷺ لم يأت بهذا الدين جملة واحدة، وكذلك القران الكريم لم ينزل دفعة واحدة، بل نزل منجَّماً في ثلاث وعشرين سنة[١]، والدعوة الإسلامية لم تصل إلى عالميتها إلا بعد أن مرّت بمراحل متدرجة، منها استقرار العقيدة، وتَخْلية النفوس من الرذائل وتَحْليتها بالفضائل، ثم بعد ذلك العمل بالتشريعات والأحكام العملية وهكذا.

ومن الخطأ عرض الإسلام وثقافته دفعة واحدة، في بيئة لا تعرف شيئاً عن الإسلام، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، لذا يجب مراعاة البيئة التي يراد نشر الثقافة الإسلامية فيها، ودراسة خصوصياتها ثم تشخيص واقع ذلك المجتمع أو الفرد، والابتداء والتدرج معه من المرحلة التي هو فيها، فمراحل البداية للتدرج تختلف من شخص إلى غيره، ومن مجتمع إلى آخر.

ولا يمكن أن نطالب من اعتنق الإسلام حديثاً، أو من المؤلفة قلوبهم أو التائب من فسوقه وعصيانه حديثاً، بمثل ما نطالب به مَن استقرّ الإيمان في قلبه واستقام في عمله، هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الاجتماعي؛ فيجب مراعاة الخط العام للمجتمع عقيدةً وسلوكاً وعملاً، ومن ثم التدرج من ذلك الخط.

وعلى هذا النهج سار ولاة أمور المسلمين ودعاتهم، ففي الموافقات للإمام الشاطبي: (أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز -رحمهما الله- قال يوماً لأبيه عمر: ما لك لا تنفذ الأمور؟! فو اللهِ ما أُبالي لو أن القدور غَلَت بي وبك في

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحقيق مركز الدراسات القرآنية: ٢/ ٢٦٨.

الحق، قال عمر: لا تَعجلْ يا بني، فإن الله ذمَّ الخمرَ مرتين وحرَّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملةً، فيدفعون جملةً، ويكون من ذا فتنة)[١].

وعليه فإن اعتماد سُنة التدرج وعدم إغفالها، يُعد من آليات الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية، ويؤدي تجاهلُها إلى أن تكون الثقافة حبيسة الصدور والأسوار، فلا تُتلقى بالقبول وتُردُّ جملة واحدة.

تاسعًا: - عدم استفزاز المخالفين، وجدالهم بالتي هي أحسن.

يجب عرض الثقافة الإسلامية محليًا وعالميًا بطريقة إيجابية واعية مؤثرة في الآخرين، عن طريق إقناع الآخرين بالحسنى وعدم استفزازهم؛ لأن أسلوب استفزاز الآخرين في طرح الأفكار والمعتقدات؛ من شأنه أن يعزل صاحبه عن وسطه الاجتماعي والثقافي، ويكون مرفوضًا وإن كان صاحب حق.

واستفزاز الآخرين نوع من الغِلظة والفظاظة، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

كما حذر القرآن الكريم من استفزاز المخالفين من غير المسلمين تجنبًا لردة فِعل مبالغ فيها، فيكون الضرر أكبر من النفع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

---

(١) يُنظر: الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ٢/ ١٤٨، وينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): ٥/ ٢٨٢.

وتداعيات استفزاز المخالفين في وقتنا المعاصر وضررها على عالمية الثقافة الإسلامية أكثر من السابق؛ بسبب الانفتاح الإعلامي الكبير،وتطوّر وسائل التواصل والاتصال في العالم، ومن الممكن أن يُوظّف هذا النوع من الاستفزاز من قِبل أعداء الثقافة الإسلامية لصالح ثقافاتهم وأفكارهم،واتخاذه وسيلة لتشويه صورة الإسلام الحقيقية.

والبديل عن استفزاز المخالفين: جدالهم بالتي هي أحسن، كما هو مقرر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وعرض الإسلام برِفْق ولِين للمخالفين، لا يعد تنازلاً عن الحق، مادمنا ملتزمين بثوابت الإسلام وأصوله.

وثقافتنا الإسلامية ومقوماتها العالمية؛ تأمرنا بترك الاستفزاز الذي يباعد القلوب والمسافات، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، فالآية تشير إلى الارتقاء بمستوى الحوار مع المخالفين، يقول بعض المفسرين عن معنى الآية: (وقل لعبادي المؤمنين إذا جادلوا الكفار في التوحيد؛ أن يقولوا الكلمة التي هي أحسن)[1]، فدلالة الآية تشير إلى عدم استفزاز الخصوم، والسعي إلى مجادلتهم بالتي هي أحسن ليحصل القبول المحلي والعالمي للإسلام وثقافته.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١ هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري: ١٠/ ٢٧٧.

عاشراً: عدم إكراه الآخرين على العقيدة،والحرص على دعوتهم وإقناعهم والتعايش مع المسالمين منهم.

من معالم الثقافة الإسلامية؛ أنها لا تقوم على إكراه الآخرين على عقيدتها؛ لأن العقيدة الإسلامية تقوم على أساس التصديق والاعتقاد الجازم الذي لا يقبل الشك، فلا يمكن الإكراه عليها، فهي تتعلق بالقلب لا بالجوارح، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ٩٩-١٠٠]، وقال تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وإن أخطر آفة تنخر في جسد أي دين أو ثقافة؛ أن تكون قائمة على الإكراه وإلْزام الآخرين بالاقتناع بها، والانتماء بهذه الطريقة يكون شكلياً لا فعلياً، وإن فرداً واحداً يدخل الإسلام عن قناعةٍ؛ خير من ألفٍ مُكرَهين عليه، لأنهم سيكونون مَعاول هَدْمٍ في حال فقْدِ السيطرة عليهم، والإكراه على الدين من شأنه أن يشوه حقيقة الإسلام ورسالته العالمية، ويزيد من الكره العالمي للإسلام، ويحجب الآخرين عن هذه الثقافة الرائدة، لأنها حينئذ تكون محل اتهام وشك - وإن كانت حقاً - فالفطرة الإنسانية ترفض ما تُكْره عليه.

وفي زمن الفتوحات الإسلامية؛ كان المسلمون يفتحون البلاد ولا يُكْرهون الناس على الدين، وإنما كانوا يخيّرون أهل تلك البلاد بين الدخول في الإسلام بعد عرضه عليهم وبيان تعاليمه لهم وأحكامه ورسالته الإنسانية فيدخلوا فيه عن قناعة، أو البقاء على دينهم وعقيدتهم مع دفْع الجزية؛ لأنهم سيصبحون تحت حماية المسلمين وفي ذمتهم، أو القتال في حال رفضهم لكلٍّ من الإسلام أو دفْع الجزية.

والبديل عن إكراه الآخرين: الحرص والاجتهاد على إقناعهم في الدخول في الإسلام، فقد كان النبي ﷺ شديد الحرص مع مخالفيه على هدايتهم وإقناعهم بالإسلام حتى وهو في أصعب الظروف، حيث كان هدفه الأساس: نشْرُ الإسلام لا الانتقام من المخالفين، فبعدما لَقِيَ ما لقي من المشركين يوم العقبة وكان مهمومًا؛ جاءه جبريل وقال له: لو شِئْتَ لأطبقتُ عليهم الأخشبين وأهلكتُهم، عند ذلك قال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرج اللهُ من أصلابهم مَن يَعبد اللهَ وحدَه لا يشرك به شيئًا**»(١).

فالإسلام دين التعايش والرحمة والتسامح، وما نجده من بعض المتشددين من المسلمين الذين يتعاملون مع المخالفين المسالمين بالعداء المطلق دون مبرر، إنما يخالف قواعد ديننا التي تتعامل مع الآخرين على أساس الإنسانية وإيضاح الطريق الصحيح لهم لنجاتهم في الدنيا والآخرة، وهذه القواعد كان يعلمها النبي محمد ﷺ لأصحابه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (بينما رسول الله ﷺ جالس، جاء يهودي فقال: يا أبا القاسم؛ ضرب وجهي رجلٌ من أصحابك، فقال: مَن؟ قال: رجل من الأنصار فقال: ادعوه، فقال: أضربْتَه؟ قال: سمعتُه بالسوق يحلف: والذي اصطفى موسى على البشر، قلتُ: أيْ خبيث، على محمد ﷺ؟ فأخذتني غضبة فضربتُ وجهَه، فقال النبي ﷺ: لا تخيّروا بيني وبين الأنبياء، فإن الناس يُصعقون يومَ القيامة فأكون أولَ مَن تنشق عنه الأرضُ فإذا أنا بموسى آخِذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمَن

(١) طرف من حديث، رواه البخاري في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها برقم (٣٠٥٩) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين: ٣/ ١١٨٠، ومسلم في صحيحه برقم (٤٧٥٧)،كتاب الجهاد والسير، باب ما لَقِيَ النبيُّ ﷺ من أذى المشركين: ٥/ ١٨١.

صُعق أمْ حُوسب بالصعقة الأولى)[١]. هكذا كان النبي ﷺ يعلم أصحابَه آليةَ التعايش مع المخالفين، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك[٢].

حادي عشر: التحرر الفكري من نظرية المؤامرة، والمُضَيِّ قُدُمًا، وعدم الانشغال بالدفاع فقط

المؤامرات التي تحاك ضد المسلمين موجودة منذ القديم إلى وقتنا المعاصر، ولكن ظهر في الآونة الأخيرة نوع من المبالغة والتسويق لقدرة العدو على التآمر، أكبر مما هي عليه في الواقع، فالمؤامرات واقع يجب الحذر منه، لكن لا ينبغي أن يصل ذلك الحذر إلى الحد الذي يَرُد كلَّ شيء إلى قدرة العدو وإمكانيته التآمرية، وهو ما جرّ بعض الذين وقعوا في هذا الفخ إلى اتهام بعض المؤسسات الإسلامية الناجحة والقنوات الفضائية الإسلامية المؤثرة، والنشاطات الدعوية، ودعاة المسلمين؛ بأنهم أتباع المؤسسات الصهيونية أو الماسونية العالمية أو المنظمات التي تحارب الإسلام، أو أنها تدعمهم وتمولهم؛ كل ذلك من دون تَثَبُّت.

كما ينبغي على المثقفين ودعاة الإسلام، أن يتحرروا من المبالغة والانشغال الكلي في الرد على الشبهات الخارجية - مع التأكيد على نفعها وضرورتها - على حساب المُضِيِّ في الدعوة العالمية؛ لأن هذا من شأنه أن يبطئ عملية السير قُدُمًا في طريق عالمية الثقافة الإسلامية بسبب الانشغال الكلي بالدفاع.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، برقم (٢٢٨١)، كتاب الخصومات، باب ما يُذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة: ٢/ ٨٥٠.

(٢) لمزيد من الأمثلة؛ ينظر: من روائع حضارتنا، د.مصفى السباعي،: ٦٥ وما بعدها.

ثاني عشر: عدم الجُموح في محاربة التطرف، وكسر غلو المتشددين وصدهم عن تشويه الإسلام وثقافته

ويكون ذلك عن طريق:

أ- عدم المبالغة في محاربة المتطرفين إلى الحد الذي يوصلهم الى عداوة المجتمع الإسلامي المعتدل، وأن لا تصل ردة الفعل تجاههم إلى الخروج عن قواعد العدل الذي قرره الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

ب- إيقاف نشاطاتهم عن طريق تنويرهم وجدالهم بالتي هي أحسن.

ج- عدم استفزازهم، وضمهم إلى الصف الديني المعتدل.

د- كبح جماح مَن أَصرّ على تشدده، وفق الآليات الرسمية التي أقرّها الإسلام، وتحذير المجتمع منه[(١)].

ثالث عشر: بناء منظومة أمنية وعسكرية.

للحفاظ على ثقافة أو دين، وصد التحديات الداخلية والخارجية، لابد أن تتوفر منظومة أمنية وعسكرية إلى جانب المنظومة الدعَوية؛ لضمان الاستقرار الداخلي وصد العدوان الخارجي، وبسط النفوذ الثقافي.

---

(١) يُنظر: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ذكر فيه كلاماً عن التطرف في محاربة التطرف: ١٠٩ – ١١٣.

ويجب أن تكون هذه المنظومة تحت سيطرة ولاة أمور المسلمين ومؤسساتهم الرسمية، عن طريق بناء قوة يمكنها الحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي للبلاد الإسلامية، وصد الخطر عن أفرادها في أي مكان، وهذا مقرر في المنهج الإسلامي: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والمنظومة الأمنية والعسكرية من شأنها أن تحافظ على كيان الدول الإسلامية وسلامة دعوتها وثقافتها العالمية، فيما لو بُنِيت وِفق المنهج الإسلامي وكانت تحت سيطرة المؤسسات الإسلامية الرسمية، كما أنها تعطي دعمًا معنويًا ونفسيًا لدعاة الإسلام لبسط ثقافته عالميًا؛ لا سِيَّما في الدول الضعيفة التي تحتاج لفَيء الدول القوية.

رابع عشر: إعداد خطة مرحلية طويلة الأمد، والصبر وعدم استعجال النتائج.

على المؤسسات الإسلامية الرسمية وغير الرسمية، إعداد خطة منهجية مدروسة معتمَدة من أصحاب الاختصاص والمَعْرفة، تقوم على آليات وخطوات تطبق على أرض الواقع على المدى القريب والبعيد وفق جداول زمنية، وعدم استعجال النتائج، والصبر على قطف ثمارها.

وعلى المسلمين ودُعاتهم أن يصبروا على متاعب نشر الثقافة الإسلامية ومشاقّها، وأن لا يحزنوا أو يتخاذلوا من الضعف الطارئ الذي يصيب الأمة الإسلامية، وعليهم مضاعفةُ الجهود وإعداد الخطط المنهجية المتدرجة؛ لإعادة النجاح العالمي الذي حققته الثقافة الإسلامية في انتشارها، فالنبي محمد ﷺ استمرّ في دعوته ما يقارب ثلاثًا وعشرين سنة، مرت بمراحل ومراحل

وتحديات ومضايقات، بدأت الدعوة برجل واحد هو النبي محمد ﷺ، في بيئةٍ تعارض ما جاء به، وبعد نحو ثلاثٍ وعشرين سنة؛ صار الواحد أُمّة، ذاع صيتُها شرقًا وغربًا.

وقد صبر النبي ﷺ على ألوان العذاب والصعاب والتحديات، وأوذي من مخالفيه، وبقي صامداً من أجل نشر رسالة الإسلام، وكان يعلّم أصحابَه الصبر والثبات على أذى المخالفين وهموم الدعوة، يقول خبابٌ رضي الله عنه: (أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو متوسدٌ بُردةً وهو في ظل الكعبة، وقد لقِينا من المشركين شدةً، فقلتُ: يا رسول الله، ألا تدعو اللهَ؟ فقعد وهو محْمَرٌّ وجهُه فقال: لقد كان مَن قَبلَكم ليُمشط بمُشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصَب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشارُ على مِفرق رأسِه فيُشق اثنين، ما يَصرفه ذلك عن دينه، ولَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسير الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت ما يخاف إلا اللهَ)[1].

فالصبر على الدعوة، وعدم الالتفات إلى المثبطين، والتركيز على الأهداف الكبرى وعدم استعجال النتائج، وإعداد خطط ومناهج عملية على المستوى القريب والبعيد بآليات مدروسة من قِبل متخصصين، ومنها الآليات التي سبق ذِكرُها، من شأنه أن يكون له دور في الوصول إلى هدف عالمية الثقافة الإسلامية، وانتشارها شرقًا وغربًا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، برقم (٣٦٣٩) كتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابُه من المشركين: ٣/ ١٣٩٨.

الخاتمة
وفيها الخلاصة وأبرز النتائج التي توصلتُ إليها

فبعد أن انتهيتُ بفضل الله من هذا البحث، أذكر الخلاصةَ وأبرزَ النتائجَ التي توصّلتُ إليها، وهي:

- رسالة الإسلام رسالة عالمية وإنسانية، ومقتضى ذلك يستلزم أن تكون ثقافته ثقافةً عالمية أيضا.
- ضرورة السعي إلى بحث التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه الثقافة الإسلامية، ودراستها دراسةً منهجية مستفيضة، والعمل على مواجهتها، وتجاوزها وإزاحتها عن طريق عالمية الثقافة الإسلامية.
- يجب استحضار النجاح العالمي الذي حققته الثقافة الإسلامية، من تأثير عالمي وانتشار وازدهار وتقدم في جميع الميادين في القرون السابقة، والسعي إلى إعادة ذلك النجاح العالمي، والتطلع إليه.
- من الآليات والخطط المنهجية والعملية التي توصلنا إلى هدف عالمية الثقافة الإسلامية: دراسة المجتمعات العالمية، والاطلاع على ثقافاتهم ومعتقداتهم وآدابهم وتاريخهم وكل ما يتعلق بهم، وينبغي دعم مؤسسات الترجمة، ودراسة اللغات، وعرض الإسلام باللغات العالمية، واستثمار الوسائل المعاصرة في نشر الثقافة الإسلامية، ودعم الإعلام الإسلامي محليًا وعالميًا، والعمل على استثمار الجوانب الاقتصادية، واعتمادها في مجال نشر الثقافة الإسلامية، واستثمار طلبة البعثات والزمالات الدراسية، واتباع أسلوب الأصالة مع المعاصرة في عرض الثقافة الإسلامية، والتدرّج في خطوات نشر الإسلام وثقافته، وعدم القيام باستفزاز المخالفين،

والعمل على جدالهم بالتي هي أحسن، وعدم إكراه الآخرين على العقيدة، والحرص على دعوتهم وإقناعهم، والتعايش مع المسالمين منهم، والسعي إلى التحرر الفكري من نظرية المؤامرة، والمضي قُدُمًا وعدم الانشغال بالدفاع فقط، والعمل على بناء منظومة أمنية وعسكرية، وإعداد خطة مرحلية طويلة الأمد، والصبر وعدم استعجال النتائج، وعدم الالتفات إلى المثبطين، والتركيز على الأهداف الكبرى، كل هذا وغيره من شأنه أن يكون له دور في الوصول إلى عالمية الثقافة الإسلامية، وانتشارها شرقًا وغربًا.

وختامًا: أسأل الله عز وجل أن يتقبّل منّي هذا العمل، وأن يَجْعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني بما علّمني، وأن يُعلّمني ما ينفعني، وأستغفر الله تعالى من كل زلل أو تقصير في هذا البحث وفي غيره، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلّم على سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (ت ٩١١هـ)، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، ط١ (١٤٢٦هـ).
- أجنحة المكر الثلاثة: التبشير، الاستشراق، الاستعمار، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٨،(١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- الإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف الزين، ط١، بيروت (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- أضواء حول الثقافة الإسلامية، د. أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط١ (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).
- الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة،ط٢ (١٣٦٩).
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن حمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، مجموعة محققين، دار الهداية.
- الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، د. محمد أبو يحيى وآخرون، دار المناهج، الأردن، ط١ (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).
- الثقافة والثقافة الإسلامية، سميح عاطف الزين، دار الكتاب، بيروت، ط٢ (١٩٧٩م).
- الجامع الصحيح، المسمى بـ (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت.

- الجامع لأحكام القرآن،لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق هشام سمير، عالم الكتب، المملكة العربية السعودية (١٤٢٣/ ٢٠٠٣).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) دار السعادة - مصر(١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤).
- دراسات في الثقافة الإسلامية،د.رجب سعيد شهوان وآخرون، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٢(١٤٠١ه - ١٩٨١م)
- الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ط١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، العدد (٤٤) لسنة (١٣٩٨هـ).
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر، بيروت، والأحاديث مذيلة بتحقيق الألباني.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، صيدا،بيروت.
- شرح النووي على صحيح مسلم،لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ (١٣٩٢هـ).
- الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير،بيروت، ط٣ (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت (١٣٧٩هـ).
- في معركة الحضارة، قسطنطين زريق، ط٣، ١٩٧٧م، دار العلم للملايين، بيروت.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد عبد الروؤف المناوي، ضبط أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية،بيروت، ط ١ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة.
- المستدرك على الصحيحين،لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، تحقيق، مصطفى عبد القادر، دار الكتب، بيروت، ط١(١٤١١-١٩٩٠).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بتحقيق شعيب الأرناؤوط.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- من روائع حضارتنا، د.مصفى السباعي، دار السلام القاهرة، ط١ (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
- منهج الإسلام في مواجه التحديات الحضارية المعاصرة، د.نصر الدين مصباح القاضي،ط١(١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م) دار الفكر العربي، القاهرة
- الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).